### تعلن من بيروت أن مشاركتها في فيلم «بدي شوف» موقف سياسي يتخطى التعاطف

# كاترين دونوف : سينما الأمس كانت جميلة جداً وسينما اليوم أكثر واقعية وإثارة للاهتمام

ريما المسمار

...على عكس ما تصورت أو تصورنا جميعاً، كانت كاترين دونوف مفتوحة الشهية على الكلام. لقد كرست زيارتها الاولى الى لبنان قبل سنة ونصف السنة صورة النجمة بعيدة المنال لإحدى أشهر الممثلات في تاريخ السينما حين أتت الى بيروت لتصور مع المخرجين خليل جريج وجوانا حاجي توما تجربتهما القصيرة - التي اضحت طويلة في ما بعد - بدي شوف. أمطرت الشروط المسبقة المتعلقة بظهورها العلني والاعلامي الجميع بدءاً من المخرجين ووصولاً الى تقنيي الفيلم. لم تقابل أحداً ولم تسمح لأي مصور فوتوغرافي الا ذاك المعتمد من قبل الفيلم بالتقاط صورة لها. تضخم الكلام حول اهتمامها بصورتها العامة واستعدادها لملاحقة كل من يخرق قوانينها قضائياً(!) وحول رفضها القاطع تصويرها من الجانب الأيسر لوجهها... تفاصيل صغيرة كانت كافية لتصنع حواجز فورية بينها وبين الصحافة والناس وفريق عمل الفيلم على الاقل في البداية. أنهت التصوير وغادرت لبنان بعد أن قطعت وعداً بالعودة اليه من أجل حضور العرض الأول. وبالفعل عادت يوم الاحد الفائت حيث كان مقرراً عرض 'بدي شوف' في ختام مهرجان 'أيام بيروت السينمائية' واطلاقه بعد اربعة ايام (يوم غد) في الصالات اللبنانية. لم يغامر كثيرون بطلب حوار خاص معها لاعتقادهم الراسخ بأن الرفض سيكون ردها القاطع. عقدت مؤتمراً صحافياً أول من امس وأمام دهشة الجميع أجابت عن الاسئلة بإسهاب مظهرة جانباً ودياً وسرعة بديهة وذكاء ليست دائماً من مقومات المشاهير والنجمات الى توتر وقلق تداريهما أحياناً بإشعال سيجارة. وبعد المؤتمر، وافقت على إجراء بعض الحوارات القصيرة مع مجموعات من صحافيين أو أكثر لم تدم الواحدة منها أكثر من عشر دقائق.

لعل تصرفات دونوف تنبع من مزاجية ما ولكنها ما إن ترتضي الامر حتى تسلم نفسها له من دون تبرم. هكذا فعلت مع المخرجين حين قبلت بالمغامرة وكذا فعلت أمس مع الصحافيين. فهي إما تفعل الشيء كاملاً أو لا تفعله أبداً. ونستدل على ذلك من حواراتها الصحفية التي تصنف فيها نفسها 'جندي ملتزم' او ممثلة 'أقبل بالضجر كجزء من مهنتي' وغيرها من التوصيفات التي تضعها على مسافة رؤية جيدة من نفسها ومن عملها.

بطبيعة الحال، لم يكن وقت الحوار سانحاً للخوض في اشياء كثيرة لاسيما التي تتعلق بمسيرتها التمثيلية الطويلة واسهاماتها الكبرى في السينما من خلال أدوار مميزة مع سينمائيين من طينة جاك ديمي ولويس بونويل ومانويل دي اوليفيرا ورومان بولانسكي الى آخر القائمة... كما لم تكن الفرصة مؤاتية لسؤالها عن تفاصيل مهمة تتعلق بتربيتها المسيحية الصارمة وانتمائها الى عائلة سينمائية ودخولها السينما عن طريق الصدفة من خلال شقيقتها الممثلة وأدوارها في افلام غير فرنسية واختيار ولديها التمثيل وخصوصية كل سينمائي عملت تحت ادارته...

على الرغم من ذلك، يفصح هذا الحوار الذي يطاول تحديداً تجربتها اللبنانية في 'بدي شوف' عن الكثير من جوانب حياتها وشخصيتها وخياراتها السينمائية وحتى مواقفها السياسية...

في هذه الجلسة التي جمعتني والزميل الصحافي جيم كويلتي (من صحيفة 'دايلي ستار') بكاترين دونوف في بهو فندق فينيسيا لاثنتي عشرة دقيقة ونصف - الوقت الاضافي الذي منحتنا اياه كان غالب الظن سببه استمتاعها بصحبة مدخنَين مثلها - يحاول الاقتراب من كاترين دونوف الممثلة خلال واحدة من تجاربها السينمائية الفريدة في فيلم 'بدي شوف' الذي يصورها بشخصيتها الحقيقية في رحلة مع الممثل ربيع مروة الى جنوب لبنان بعد أقل من عام على حرب تموز.

● كاترين دونوف (حسام شبارو)

● كان لافتاً جوابك خلال المؤتمر الصحافي عندما قلت انك في نهاية المطاف ممثلة وأن أي ممثلة أخرى كان يمكن ان تلعب الدور من دون أن يفقد الفيلم أهميته. ألا تعتقدين...

- كلا ليس أي ممثلة ولكن قصدت ان ممثلات كثيرات كان يمكن ان يلعبن هذا الدور وأن حضوري في الفيلم مهم ولكنه ليس الأهم.

● أردت أن أكمل سؤالي بالقول ان هناك خاصية لا تُضاهى في كونك كاترين دونوف بكل ما تحملينه من إرث وتاريخ ودلالات وأن اية ممثلة أخرى في مكانك لن تمثل الاشياء نفسها التي تمثلينها.

- كان اختياري من قبل المخرجين قراراً واضح الاسباب بالطبع. لقد أرادا شخصية رمزاً للسينما الفرنسية او السينما بشكل عام وذلك يتماشى تماماً مع فكرة الفيلم التي أعجبتني. ولكنها كانت فكرة بانتظار أن تتحول فيلماً. ولكنني وثقت بهما.

● كيف تنظرين الى كيفية تعامل الفيلم 'بدي شوف' مع صورتك الايقونية؟ ثمة اشارة الى فيلمك 'جميلة النهار' الذي لعبت فيه شخصية امرأة تبحث عن التجربة لتعيشها ولتبحر في رحلة تختبرها بلحمها ودمها. في الفيلم الحالي، انت لا تعيشين التجربة بل تشهدين عليها. كيف هو هذا الاختلاف بين 'أن تكوني' و'أن تري'؟

- الإختلاف كبير بين موقعيَ في الفيلمين. في هذا الفيلم انا 'شاهدة' ألعب دوري الحقيقي ولكنني أحاول أن أرى من خلال عيني المخرجين. أنا الكاميرا أو العدسة التي ينظران من خلالها. وأظن ان هذا يتناسب مع شخصيتي الحقيقية اي أن أكون شاهدة وعلى مسافة من الأشياء المحيطة بي. هذه طبيعتي وأنا مؤمنة بأن الممثل وسيلة وقد ارتضيت في هذا الفيلم أن أكون الوسيلة أكثر من اي وقت مضى. انا من الممثلات اللواتي يستمتعن بادارة المخرج لهن وأعتقد لولا ذلك لما استطعت أن أكون ممثلة. وربما لذلك أفضل العمل مع مخرجين أحبهم وأثق بهم لأنني أريد أن اسلم نفسي لهم تماماً ليأخذوني في اتجاهات مختلفة.

● اذاً هذا لست أنت في الفيلم بل هو وجهك وحضورك العامان؟

- كلا الفيلم هو حضوري العام ولكنني أنا نفسي حين أشعر وأفكر وأرى ولكن تلك اشياء خاصة جداً وحميمية وقد وافقت على المشاركة في الفيلم لأنني لن أضطر الى الاجابة عن اسئلة من النوع الذي تطرحينه! المهم بالنسبة الي كان ان اصنع الفيلم لا أن أتحدث عن مشاعري الخاصة. أردت عمل الفيلم من أجل لبنان.

● هل لي أن أسألك لماذا 'من أجل لبنان'؟

- الفيلم أتاح لي فرصة ان أظهر أكثر من مجرد التعاطف تجاه بلد هُمِّش كثيراً. أن أقوم بفعل ما هو الفيلم في حد ذاته والمساهمة في صنعه وابصاره النور.

● هل نفهم من ذلك ان هناك موقفاً سياسياً خلف كل ذلك؟

- وجودي في الفيلم موقف سياسي.. اصراري على الحضور الى هنا مرة ثانية للمشاركة في عرضه الأول موقف سياسي.. وفي الأصل موافقتي على المشروع وليدة موقف سياسي.. أعتقد أن صنع فيلم عن الحرب او فيها هو موقف سياسي من نوع خاص وعلى مستوى عال من الأهمية لأن الصورة، بخلاف الكتابة عن التاريخ المعرضة دوماً لأن تجير لمصلحة أفراد أو جماعات، تتيح الاحتفاظ بصور لتاريخ في طريقه الى التحول.

ولكن الموقف السياسي لا يعني بالضرورة الدخول في جدل سياسي او لمجاهرة بمواقف علنية خطابية داعمة او ناجية. لقد ذكرت قبل قليل خلال مؤتمر الصحافي أنني أفضل الفعل على القول. وها أنا أقول اليوم ما أقوله لأنني خطيت مرحلة الفعل ولكنني لا أرغب في التبرير او الشرح لأن هذين يناقضان فعل. أنا شديدة الاهتمام بالسياسة ولكن هذا لا يتخطى دوري كممثلة في فيلم الهدف من اشراكها فيه كان أن تكون 'شاهدة' وأشدد على هذا الموقع. لا عرف الكثير عن لبنان لذلك لا يحق لي ان أدلي بانطباعات متسرعة وان كنت كونت الكثير منها.

● مثيرة للاهتمام تلك العلاقة المتداخلة بين رؤيتك ورؤية المخرجين. نت تقولين أنك تحاولين الرؤية من خلال نظرة المخرجين وهما يرددان هما أرادا أن يريا من خلالك الى الوضع القائم. كيف تفسرين ذلك؟

أعتقد ان هذه تفاصيل لم نتحدث فيها بشكل مباشر بل كانت وليدة لفاجآت واللحظة. فعلى سبيل المثال، كنت على دراية بالرحلة التي سأقوم بها الى جنوب لبنان ولكنني لم أعرف مسبقاً كيف سأشعر او اتفاعل او افكر أو حتى ما الذي سأراه بالضبط. حتى خليل وجوانا لم يعرفا تماماً ما الذي سيحدث. ففي الجزء المتعلق مثلاً بالرحلة الى الضاحية الجنوبية لم نعرف مسبقاً أننا سنُمنع من التصوير وبالتالي ستتوقف الرحلة وسيتوقف فعل أن أرى. كانت الأمور أكثر تحرراً من التخطيط المسبق وقد كان ذلك جزءاً من الاتفاق. بهذا المعنى، كنت أرى اللحظة وكان المخرجان يسجلان اللحظة التي أراها من موقعي أحياناً أي ان الكاميرا كانت في بعض الأحيان نظرتي ومن موقع مواجه في أحيان أخرى حين كانت الكاميرا تبتعد عني بعض الشيء لتسجل المكان لحظة فعل النظر.

● يخاطبك الفيلم على انك كاترين دونوف طوال الوقت حتى في المشاهد المتخيلة. فهل كنت بالفعل كاترين دونوف أمام الكاميرا؟

- نعم كنت أنا نفسي ولكن دعيني أوضح شيئاً: أنا شخص يفصل مشاعره الخاصة ويخبئها ولحسن الحظ ان هذا ما كان مطلوباً في الفيلم. لو لم تكن هنالك كاميرا كنت لأظهر مشاعر مختلفة ولكنني أمام العدسة احتفظت بأحاسيسي الخاصة لنفسي لأنه لولا ذلك لأخذت الفيلم في اتجاه آخر تماماً يفرض على المشاهد رؤيتي وأحاسيسي وانفعالاتي. لا أظن ان ذلك الاتجاه يتفق مع تجربة الفيلم التي أرادها المخرجان مفتوحة وغير مقيدة للمشاهد.

● ماذا عن المشهد التمثيلي حيث تجنح السيارة في اتجاه حقل ألغام ويتم استدراك الموقف من قبل فريق التصوير؟ كنت تمثلين في تلك اللحظة؟

- لعل هذا المشهد هو المشهد الوحيد الذي أرادني المخرجان فيه أن أمثل ولكنه لم يكن مفصولاً عن الرحلة الواقعية التي أقوم بها. فهذا موقف يمكن أن يحدث في الواقع كما انه يتصل بإحساس دفين لدى الجميع بأن ثمة مخاطرة في كل ما نفعله اي مخاطرة جسدية علينا جميعاً وتالياً ما مثلته كان تجسيداً لذلك الخوف الذي كان يمكن ان يُترجم واقعاً في ما لو تعرضنا لموقف مشابه والاحتمالات لذلك كانت كبيرة. في هذا المشهد مثلت بالفعل ولكن في ما تبقى منها كنت فقط أكون.

● هل تقصدين ان ذلك المزج بين الوثائقي والمتخيل في الفيلم لم يتطلب منك أن تدخلي الى الشخصية وتخرجي منها بين مشهد وآخر؟ أم انك اخترعت شخصية واحدة طوال الفيلم تشبهك كثيراً ولكنها تتحكم بأحاسيسها وانفعالاتها؟

- الواقع ان هذه الشخصية التي تتحدثين عنها هي أنا لأنني هكذا لا أفلش خصوصياتي ولا أجاهر بأحاسيسي مع اضافة انني في هذا الفيلم لم أتصرف من وحي أية أفكار مسبقة. تركت نفسي للرحلة من دون أن أبذل جهداً لتكوين أي رأي مسبق عن المكان. بهذا المعنى كنت ألعب نفسي وكنت الشخص نفسه في الشقين الوثائقي والمتخيل. الحالة الواقعية هي التي كانت تقودنا الى المتخيل الجائز وقوعه في أية لحظة.

● وبهذا المعنى ايضاً لم تحتاجي الى ارشادات المخرجين؟

- في هذا المشروع، جرت الأمور بشكل عكسي. أي أنني تلقيت ملاحظاتهما وأفكارهما قبل التصوير. أما خلال التصوير، فكان يكفي أن يطلعاني على كيفية سير الرحلة ومن ثم يتركانني لأرى واشعر بنفسي. ×رحلة التعرف بينك وبين ربيع مروة التي التقطتها الكاميرا لحظة حدوثها بدوت فيها مقتصدة جداً. هناك أشياء كثيرة كان يمكن أن تُقال بينكما. فلماذا اقتصرت محادثاتكما على حزام الأمان والسيجارة واشارات السير؟

- هل تظنين بالفعل ان هناك اشياء كثيرة نتحدث فيها؟ قد يكون هذا صحيحاً في الحياة اي لو انني التقيت ربيع خلال زيارة خاصة الى لبنان لكنت سأجد الكثير من الكلام لأتبادله معه. ولكن في الفيلم لست أنا من قرر الذهاب في تلك الرحلة صحبته او اكتشاف شخصيته بل ان المخرجين هما من طرحا علي الفكرة وأراداني أن أرى لا أن أمضي الرحلة في الحديث.

● بهذا المعنى، يصبح الارتجال الذي تحدثت عنه خلال المؤتمر الصحافي محدداً بأفكار معدودة ومتفقاً عليه مسبقاً وليس مفتوحاً كما يتوقع المرء أن تعني كلمة 'ارتجال'؟

- كان يمكن لأي منا، ربيع أو أنا، أن نوسع دائرة الحديث والارتجال ولكننا لم نفعل. هكذا سارت الأمور ولا تنسي ان الفيلم كان يفترض ان يكون قصيراً لا يجاوز العشرين دقيقة حين صورناه. فبدا لنا ان تلك الحوارات بيننا كافية. الفيلم أصبح طويلاً خلال المونتاج وهذا خيار عائد للمخرجين تماماً وأنا أوافقهما الرأي.

● هل سألك خليل وجوانا رأيك قبل المضي في تحويله فيلماً طويلاً؟

- أخبراني بقرارهما. اندهشت في البداية لاسيما انني صورت ستة ايام فقط مع العلم انها كانت مكثفة. ولكن قراراً من هذا النوع بقدر ما قد يبدو مستغرباً من قبل كثيرين الا انه ممكن لأنه يتناسب مع روحية الفيلم التجريبية العالية. فهو في الاساس لم يكن مشروعاً مكتوباً بالكامل بل كان يكتمل شيئاً فشيئاً من التصوير الى المونتاج. بالنسبة الي، وافقت على المشاركة فيه وأنا على علم تام بانه مشروع خاص ومبتكر وتالياً يتطلب منح المخرجين الحرية المطلقة والثقة الكاملة وهذا ما فعلته ووجدت لاحقاً ان ثقتي كانت في مكانها.

● في مشهد 'بنت جبيل' مثلاً بدوت منفصلة عما ترينه وحين ابتعد ربيع عنك لم تحاولي أن تري بنفسك ولنفسك بل كنت في انتظاره ليرشدك...

- أعتقد انني كنت خائفة بعض الشيء. الموقف كان مؤثراً جداً وكان من المهم ألا أفقد دليلي وسيطرتي على أحاسيسي. المسألة كل المسألة أن وظيفتي كانت أن أرى وان ألعب دور الشاهدة وهذا يترتب عليه الكثير. والمفارقة أنني في تلك اللحظة نظرت الى الشمس وكانت خضراء اللون يحجبها سحاب دخاني لم أرَ مثيلاً له في حياتي. كانت لحظة ابوكاليبتية بكل معنى الكلمة. الفيلم برأيي هو تكاثف هذه التفاصيل أمام الكاميرا وخلفها للخروج بصورة ربما ليست كل مكوناتها واضحة المعالم ولكن تأثيرها هناك ولا يمكن لمسه او وصفه.

● ولكن هذا الحاجز بينك وبين المكان حاضر طوال الرحلة وقد أكسبك في بعض المشاهد مظهراً جليدياً لا أدري ان كان هدفه نقل انطباع ما الى المشاهد بموضوعية الشاهد الذي تمثلينه..

- أنا شاهدة بالفعل، غريبة عن المكان. التعاطف أبرزته بالفعل حين وافقت على المشاركة في الفيلم ولكن أحاسيسي الخاصة إزاء ما اشاهده أردتها مغلفة بشيء من الحياء خوفاً من الوقوع في ابتذال المشاعر او استدرار العطف.

● لعبت عشرات الادوار السينمائية الباهرة وعملت مع كبار السينمائيين. هل تشعرين اليوم ان مشاركتك في مشروع مثل 'بدي شوف' هو الاستكمال الطبيعي لمسيرتك مع كل التحولات التي شهدتها السينما؟

- التطور الذي شهدته السينما مؤخراً كان سريعاً على الصعيد التقني ومن الجيد ان تكون هنالك بدائل للسينما المكلفة وأن يتمكن كثيرون من إنجاز أفلامهم بموازنات ضئيلة مع الديجيتال. ولكن السينما برأيي لم تتغير كثيراً. مازال هنالك أشخاص موهوبون وآخرون أقل موهبة. ومازال هنالك سيناريوات جيدة وأخرى متواضعة. التغيير الأكبر الذي شهدته السينما في رأيي هو في جنوحها أكثر الى الواقعية وفي تبدل مقاييس الجماليات. السينما في السابق كانت جميلة جداً اليوم مازالت جميلة ولكنها واقعية ايضاً. وأرى ان السينما اليوم مثيرة للاهتمام أكثر مما كانت عليه قبل عقود. بالطبع هناك سينمائيون عملت معهم ويؤلمني انهم غادروا ولكنني لست نوستالجية ولا أحن الى سينما قديمة. اشعر انني مازلت استطيع تقديم الكثير وانني جزء من السينما الجديدة التي تتحدثين عنها بما أقدمه من مشاريع تناسبني وتعجبني. غير ذلك، لا احب الظهور الاعلامي ولي حياتي الخاصة التي تعنيني كثيراً.

● على ذكر حياتك الخاصة، أذهلني ما قرأته في مكان ما عن انك لا تكرسين حياتك للتمثيل وأن الاولوية عندك لحياتك الخاصة. أليس هذا مستغرباً بالنسبة الى فنانة وصلت الى موقعك؟

- أنا أعطي عملي الكثير ولكنني لم أكرس حياتي بكاملها للعمل. كنت دوماً قادرة على التمييز بين اولوياتي في مراحل مختلفة من حياتي ولكنني لم أضحِ ابداً بما هو مهم في حياتي الخاصة من أجل التمثيل.

● ذكرت انك لا تحبذين أن تلعبي شخصيتك الحقيقية في السينما وان دورك في 'بدي شوف' كان استثناءً لتلك القاعدة. ماذا كان سيحدث لو ان خليل وجوانا طلباك لدور تمثيلي؟

- هذا اقتراح مثير للاهتمام. لا أعرف بماذا أجيب ولكنني كنت سأحتاج الى سيناريو حتماً لأنني عندها كنت سالعب شخصية تختلف في تفكيرها وأحاسيسها عني وتالياً لا بد لي من سيناريو لأعرفها وأتقرب منها. الشيء الثابت أنني كنت سأهتم بأي مشروع سياسي جيد من بلد مثل لبنان.

● أعرف ان محاورة ممثلة في مكانتك لن تكون كافية في غضون عشر دقائق ولكنني سأسرق دقائق اضافية لأطرح عليك سؤالين أخيرين كتعويض عن الأسئلة الكثيرة التي كان يمكن ان نناقشها في ما يخص مسيرتك الحافلة. السؤال الاول يتعلق بكونك ليس فقط مشهورة وانما ايضاً من جميلات السينما. كيف تعاطيت مع هذا الجانب؟

- من حسن حظي أنني شاركت في أفلام مهمة منذ انطلاق مسيرتي التمثيلية المبكرة ولذلك ربما لم أعانِ من فكرة أن يُنظر الي على انني جميلة فقط. ولكن المشكلة جاءت من مكان آخر وهي ان الناس ينظرون اليك ويتوقعون منك اشياء كثيرة. يتوقعون الكثير من شخص يعتقدونه مثيراً للاهتمام. وهذا حمل ثقيل لاسيما في المراحل الاولى عندما تنجرين الى مجاراة تلك التوقعات. ولكن ذلك العبء تخف وطأته مع الوقت. اليوم أنا أعرف نفسي، أعرف من أنا وأعرف ماذا كنت. لا أخفيك مازالت هنالك صعوبة في التعامل أحياناً من الامور الشكلية. ففكرة الممثلة تنطوي على الكثير من المحسوس والخارجي. أدرك تماماً انني لو لم أكن ما انا عليه في الشكل لما كنت دخلت التمثيل ربما. أتذكر ذلك دائماً ولا خيار لي سوى القبول به. ثم ان التقدم في السن ليس عملية مسلية لا للرجال ولا للنساء وهي أصعب بالنسبة الى من يعتمدون في عملهم على المظهر الخارجي. ولكنه ليس دراما ولا يؤرقني كثيراً وافكر دائماً انه من حسن حظي انني اعيش في اوروبا لأن الأمر كان سيكون اصعب بكثير لو انني ممثلة أميركية.

● سؤالي الثاني في هذا المجال، هل من فيلم ومخرج مميزين بالنسبة اليك خلال تلك المسيرة الطويلة؟

- أعتقد انني سأكن دائماً مشاعر خاصة لفيلم 'مظلات شيربورغ' الذي كان فيلماً مميزاً جداً جداً. كان اوبرا معاصرة وبالنسبة الي وقتذاك ان العب دور البطولة في سن صغيرة في فيلم من ذلك النوع وأن أتعلم من مخرجه جاك ديمي كل تلك الاشياء لهي تجربة خاصة جداً. ديمي كان بالنسبة الي مثل صندوق باندورا حيث كل شيء مهما بدا غريباً او فريداً يظل ممكناً. كان مميزاً ومبتكراً الى ابعد حدود.

● دونوف في «بدي شوف»

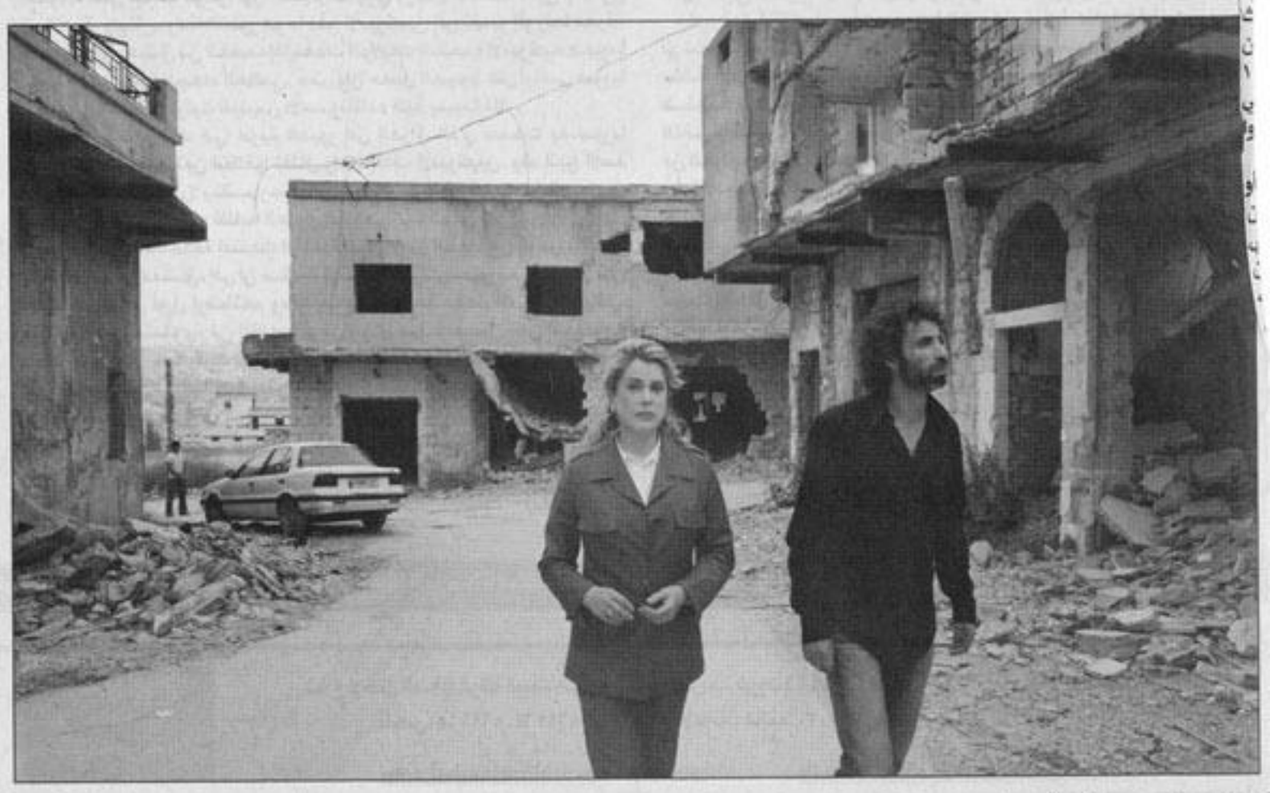

● ومع ربيع مروة في قرية «بنت جبيل»

● دونوف والمخرجان حاجي توما وجريج والممثل ربيع مروة خلال تقديم الفيلم في مهرجان «كان»